

ادب السياسة وأثره في نهضتنا الحاضرة

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

ما المقصود بأدب السياسة - هل يمكن اتخاذ السياسة موضوعاً للبحوث الأدبية؟
- ماهو المجتمع السياسي - ماهي الواجبات التي تعيد الانسان بالعمل في هذا المجتمع
- ماهو أثر الادب السياسي في نهضتنا الحاضرة ؟ - ملبقات الادباء الذين اشتغلوا
بالسياسة في مصر - الادباء المشتغلون بالسياسة هم أصحاب الاثر الاكبر في النهضة

ما المقصود بأدب السياسة ؟

قد يكون المقصود به البحث في المسائل السياسية عن أسباب نفسية واجتماعية واقتصادية أعمق
وأدق من الاسباب التي تلهج بها الألسن أو تخوض فيها صحف الدعاية

فلا كثرون من الناس يرجعون بالأسباب السياسية إلى ما يقوله الوزراء والسفراء أو يقوله
الملوك ورؤساء الحكومات ومن اليهم من أصحاب النفوذ

وهناك أسباب أعمق وأدق مما يقوله الساسة ويجهرون به على المنابر العامة ، ونعني بها الأسباب
التي يكتُمونها ، ويقصدون اليها من وراء الاحاديث والتصريحات

لكن الحوادث السياسية في الحقيقة لا تدور على أقوال الساسة ، ولا على مقاصد الساسة من
وراء تلك الأقوال

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فإنما لكل حادثة سياسية - ولا سيما الحوادث الكبرى - أسباب كثيرة لا تسيطر عليها مقاصد
الوزراء والأمراء ولا يسعهم في معظم الأحيان أن يتحولوا بها من وجهة إلى وجهة ، ولكنهم هم
المسخرون لسلطانها المجر وفون في غمارها ، قاصدين إلى ذلك أو غير قاصدين ، وعارفين بمقاصدهم
أو جاهلين . وما من حادثة سياسية تشترك فيها الدول الا ولها من وراء الزمن الحاضر والظواهر
المائلة للعيان بواطن قديمة وخفية ، من يحاول تغييرها فكانما يحاول تغيير الأيام الغابرة

مثال ذلك الحرب العظمى وما قيل عن الكبراء المسؤولين عنها . فقد لعبت الاهواء السياسية
لعبها المشهور في القاء تبعاتها حيناً على المانيا ، وحيناً آخر على روسيا ومرة على إنجلترا ومرة أخرى
على فرنسا ، وقيل كثيراً ما قيل عن نزعات امبراطور المانيا أو نزعات السير ادوارد جراي أو نزعات
الساسة الفرنسيين ومن اليهم من القادة والوزراء المسؤولين

ولكن هؤلاء جميعاً يستوون في التبعية أمام سلطان الحوادث القاهرة ، ويستوون في القدرة على
منع ما كان وما هو كائن . وليس بالقليل بين المؤرخين من يعود باسباب الحرب العظمى إلى

مماهدة « وستاليا » التي ابرمت قبل الحرب العظمى بنحو ثلاثة قرون وكان ابرامها جرثومة الخلاف بين الفرنسيين والالمان على الأرض الألمانية في الحدود بين الأمتين
 قد يكون المقصود بالأدب السياسي هو البحث عن هذه الاسباب من وراء الأقاويل الظاهرة والدعاوى العرضية ، والعودة بها إلى عوامل في الزمن الحاضر وعوامل في الزمن الماضي لا تحيط بها ارادة الساسة الا كما تحيط جميعاً بما سلف من عوامل التأثير في حوادث الحياة
 قد يكون هذا هو المقصود . وقد يكون المقصود بالأدب السياسي شيئاً آخر وهو اتخاذ السياسة نفسها موضوعاً للبحوث الأدبية والبحوث الفلسفية

فما هو المجتمع السياسي ؟ وما هي الواجبات الطبيعية التي تقيد الانسان بالعمل في هذا المجتمع وامثال ما يفرضه عليه من عرف او قانون ؟ وما هو أساس السلطان الذي تصدر عنه الأوامر والشرائع ؟ ومن هو الراعي ومن هي الرعية ؟ وما هي الحرية الانسانية عامة وما يرتبط بها من الحرية السياسية خاصة ؟

كل اولئك كان موضوعاً للبحوث الطوال والمناقشات المستفيضة بين الادباء والفلاسفة : تكلم فيها أفلاطون وارسطو ، وتكلم فيها هوبس وهيوم وجون ستوارت ميل ، وتكلم فيها فولتير وروسو ومنسكيو ، وتكلم فيها كانت وهيجل وكارل ماركس ، وتكلم فيها مكيافلي وماتيني ، وتكلم فيها الفارابي وابن خلدون ، واجتمع من كلامهم قديماً وحديثاً ما يملأ الاسفار ، ويشغل الافكار ، وتختلف فيه العقائد والانظار
 فما أثر هذا الأدب السياسي في نهضتنا الحاضرة ؟ أو ما أثر الأدب السياسي في هذه النهضة بمعناه الذي اجمناه ؟

سواء كان المقصود بالأدب السياسي هذا أو ذلك فالأثر ضعيف أو غير محسوس ، لأن نهضتنا الاخيرة انما قامت على الحقوق الوطنية وهي عندنا أظهر من أن تحتاج إلى خلاف أو بحث مستفيض في الاصول والفروع ، وقد اقتصر تاريخها في الكتب والصحف على المسائل القرية التي لا تمتد إلى مدى أبعد من الثورة العرابية ثم الحملة الفرنسية ، فليس للأدب السياسي بالمعنيين المتقدمين أثر واضح في نهضتنا الوطنية الأخيرة ، وغاية ما هنالك ان الكتب والفصول التي نقلت اليها عن الثورة الفرنسية قد رددت ذكر المبادئ التي قامت عليها هذه الثورة كما رددت ذكر المفكرين والفلاسفة الذين قرروا تلك المبادئ وشرحوها ، وأخصهم وأقربهم إلى الفهم جان جاك روسو الذي يعرف عنه القراء المصريون أكثر مما يعرفون عن زملائه في فرنسا وإنجلترا وسائر البلدان الاوربية ، فهو أظهر المفكرين أثراً في نهضتنا الوطنية الحديثة ، وإنما يظهر أثره فيها من حيث هي حركة في سبيل الحرية النظرية لا من حيث هي حركة قومية تنبعث بها عوامل النهضة في الشعوب الشرقية

غير أن الأدب السياسي الذي وفر نصيना منه هو اشتغال الأدباء عندنا بالشؤون السياسية وهم في هذا الطلب ثلاث طبقات :

الطبقة التي سبقت الثورة العرابية ، والطبقة التي جاءت بعد هذه الثورة او اشتهرت بعد انتهائها ، والطبقة التي صاحبت الثورة الاخيرة بعد الحرب العظمى

فأما التي سبقت الثورة العرابية فأشهرها محمد عبده ، وسعد زغلول ، وعبد الله نديم ، وقد مهدوا الأذهان لدعوة الحرية وتأسيس قواعد الحكم على اصول الشورى

وأما الطبقة التالية لها فأشهرها ابراهيم المويلحي ، ومحمد المويلحي ، وتوفيق البكري . وقد كان لهم أثر في الوساطة الشخصية بين مصر والاسنانة وبين الاقطاب والشيع النباينة اكبر من اثرهم الذي ظهر في عالم الكتابة

وأما الطبقة التي صاحبت الثورة الاخيرة بعد الحرب العظمى ، فهم اصحاب الاثر المحسوس في نشر الادب بين قراء الصحف السياسية وفي نشر السياسة بين القراء المتأدين الذين كانوا لا يحفلون بها ولا يقرأون من المقالات والكتب الا ما كان أدبا محضا أو بحثا في موضوعات الشعر والنقد والبلاغة

فمنذ اشتغل أفراد هذه الطبقة بالصحافة والسياسة تعود قراؤهم السياسيون أن ينتقلوا معهم الى مباحث الادب والنقد وما إليها ، كما تعود قراؤهم الادبيون أن ينتقلوا معهم الى السياسة ومناقشتها حينما خاضوا فيها وتناضلوا عليها . فالتسع نطاق الادب كما اتسع نطاق السياسة ، واستفادت الاساليب العربية كما استفادت النهضة الوطنية من جودة التعبير وحسن التوجيه وارتقاء مذاهب القول والتفكير ، ونشأت في مصر والشرق العربي سياسة أدبية أو أدب سياسي تتقارب فيه درجات القراء ممن كانوا يألفون الادب دون السياسة الى من كانوا يألفون السياسة دون الادب ، ثم اجتمعوا الى مائة واحدة لكل منهم نصيب فيها

وعلى هذا نعود فنسأل : ما هو أثر الادب السياسي في نهضتنا الحاضرة ؟

والجواب ان الأدباء الذين اشتغلوا بالسياسة هم أصحاب الاثر الاكبر في هذا الباب ، وأن أثرهم الاكبر هو توسيع نطاق القراءة وتهذيب لغة الصحافة وتمكين العبارات الوطنية وما يتصل بها من الحواج النفسية في قلوب الطائفة القارئة والطوائف التي تتندى بها من قريب

أما الادب السياسي بالمعنيين السابقين في أول هذا المقال فقد يتسع مجاله مع اتساع مجال العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية الاقتصادية التي لا مناص من ظهورها في حياة الامة بعد أن تستوفي حظها من سياسة العناية والاساليب الخطاوية

عباس محمود العقاد